الفصـــــل الأول

الحيـــــاة الدنيـــا

* حقيقة الحياة الدنيا.
* ما أهون الدنيا على الله.
* الدنيا دار فناء.
* دوام الحال من المحال.
* الزهد فى الدنيا.
* الرضا هو الزهد.
* صور من زهد السابقين.
* زهد العلماء.
* زهد الرسول ﷺ.
* التنافس على الدنيا.
* الآخرة خير وأبقى.
* المحمود من الدنيا والمذموم.
* الدنيا دار صدق لمن صدقَها.
* التزوُّد للدار الآخرة.

حقيقة الحياة الدنيا

يقول الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

ويقول تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وتبين الآية الأولى قصر عمر الحياة الدنيا، فهى فى حد ذاتها مثلها كمثل ماء أنزله الله من السماء فاختلط به نبات الأرض، ثم إذا به سريعاً سريعاً يصبح شيئاً هشاً خفيفاً تذروه الرياح فيتناثر هباءً منثوراً ! وانتهت الحياة!! وإذا كان هذا مثل عمر الدنيا فكيف يكون مثل عمر الإنسان فى هذه الحياة القصيرة ؟!

وتبين الآية الثانية حقيقة الحياة الدنيا حين تُعاش لذاتها، مقطوعةً عن الله، مقطوعةً عن منهاجه، فهى لأصحاب الاهتمامات الدنيا هدف منشود، وغاية مقصودة، فهى بالنسبة لهم لعب ولهو وزينة وتفاخر بينهم وتكاثر فى الأموال والأولاد. أما الذين يعيشونها متصلين بالله، ينهجون منهاجه، فهى بالنسبة لهم مزرعة للآخرة، فهم لا ينشدونها لذاتها، ولا يقصدونها لمتاعها، ولكن كما قال القائل:

إن لله عبـــاداً فطنـــاً ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيهـا فلمـا علمـوا ... أنهـا ليســت لحــىٍ وطناً

جعلـوها لجُةً واتخـذوا صالـحَ الأعمـالِ فيها سفناً

* * *

ما أهون الدنيا على الله !!

فقد مر رسول الله ﷺ بالسوق، والناس كنفتيه (عن يمينه وشماله) فمر بجدى أسك (صغير الأذن) ميت، فتناوله بأذنه ثم قال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟! فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء. وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً لكان عيباً فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت؟ فقال ﷺ فوالله للدنيا أهون على الله - عز وجل - من هذا عليكم» (١).

ومن هوان الدنيا على الله - عز وجل - أن جعلها عند الكافر ولو كانت كريمة عنده لحَرمَهُ منها. يقول ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جَناحَ بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شربةَ ماءٍ» (٢).

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له» (٣).

* * *

الدنيا دار الفناء

يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [يونس: ٢٤].

هذه هى الدنيا فى نظر الذين رضوا بها واطمأنوا إليها، وعاشوا لها، فهى فى أعينهم عروس مزينة جميلة، ولكن بينما هم فى نشوتهم وزهوهم بها

---

(١) رواه مسلم عن جابر - رضى الله عنه - فى كتاب الزهد (١٨/ ٩٣) - وأبو داود (١٨٤) فى كتاب الطهارة.

(٢) رواه ابن ماجه (٤١١٠) الزهد، ورواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

(٣) رواه أحمد.

وفرحتهم بضحكها لهم ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾.

وهكذا يضيع كل شيء، وتتحطم كل الآمال، وتضيع كل الطموحات.

وهذه هى الدنيا التى يضحى من أجلها أصحابها، فهم يضحون بالآخرة من أجلها ثم إذا بها إلى الزوال والفناء.

ومن فناء الدنيا وذهابها أن كتب الله تعالى على خلقه الموت، يقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

هكذا.. قضى الله بالموت على الجميع... فكل نفس ذائقة الموت والفناء والزوال. فأهل الإيمان يموتون، وأهل الكفر يموتون، والذين عاشوا لله يموتون، والذين عاشوا للشيطان يموتون، حزب الله يموتون، وحزب الشيطان يموتون، أصحاب الحق يموتون، وأهل الباطل يموتون، الذين عاشوا لعقيدة ودعوة يموتون، والذين عاشوا لشهوة ونزوة يموتون، أصحاب الاهتمامات العالية يموتون، وأصحاب المآرب الحقيرة يموتون، الأبطال المغاوير يموتون والأقزام الجبناء يموتون، يموت المصلحون، ويموت المفسدون، يموت المعتزون بانتسابهم إلى الله، ويموت المستذلون بانتسابهم إلى العبيد.

فالكل إلى الرحيل والزوال ولكن «فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز» وحتى لو بقيت الحثالة قليلاً بعد ذهاب الخُلَّص الأصلاء فإنما يبقون ولا وزن لهم ولا قدْر، فعن مرداس الأسلمى - رضى الله عنه - قال: قال النبى ﷺ: «يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حُفالةٌ كحُفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة»(١).

قال أبو عبد الله - البخارى - : يُقال حُفالة وحُثالة وهو الردىء من كل شيء، ومعنى لا يباليهم الله بالة: لا يرفع لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً.

---

(١) رواه البخارى: كتاب الرقاق، باب ذهاب الصالحين (جـ ١١، حديث رقم ٦٤٣٤).

ويقول على – رضى الله عنه – : «اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت، وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا... فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال، وهى بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها ولم يسلم من شر نزالها»

ولله در القائل:

لا ترجو البقاءَ بدارٍ لا بقاءَ لها وهل سمعتَ بظلٍ غيرِ منتقلِ

* * *

دوام الحال من المحال

خلق الله الدنيا وقضى ألا تدوم على حال، فهى اليوم مقبلة، وغداً مدبرة، وهى اليوم ضاحكة مستبشرة، وغداً عابسة كالحة، وهكذا تتقلب أحوالها وتتغير أوضاعها، فالإنسان فيها يكون يوماً صحيحاً ويوماً سقيماً، يوماً غنياً ويوماً فقيراً، يوماً مشغولاً ويوماً فارغاً.

يقول الله تعالى: ﴿ ... **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** .....﴾ [النساء ٧٧ – ٧٨].

ولقلة متاع الحياة الدنيا يجب على العاقل ألا يجعلها له وطناً.

فعن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال: كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» (١).

وروى أن رسول الله ﷺ قال فى خطبة له بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس: إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى

---

(١) رواه البخارى: كتاب الرقاق (جـ ١١ حديث رقم ٦٤١٦).

نهايتكم، إن المؤمن بين مخافتين، بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه، وأجل قد بقى لا يدرى ما الله تعالى قاضٍ عليه فيه. فليأخذ العبد لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب. ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار» (١).

ولله در القائل:

طلِّقْ الدنيا ثلاثاً والتمسْ زوجاً سواها
إنها زوجةُ سوءٍ لا تُبالى مَنْ أتاها

* * *

الزهد فى الدنيا

يقول الجنيد – رحمه الله – : الزهد خلو القلب مما خلت منه اليد. ويقول ابن تيمية – رحمه الله – : الزهد ترك ما لا ينفع فى الآخرة؛ والورع ترك ما يخاف ضرره فى الآخرة.

قال الفضيل – رحمه الله – : أصل الزهد الرضا عن الله.

ويقول يونس بن ميسرة – رحمه الله – : ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، إنما الزهادة فى الدنيا: أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك وأن يكون حالك فى المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء، وأن يكون ما دحُكَ وذامُّكَ فى الحق سواء (٢).

فهذا هو الزهد فى الدنيا، فليس الزهد بتقديس الحرمان، ولا بتعظيم الفقر، ولا بالرضا بالدون، ولا بالاستكانة والمسكنة، فكم من فقير محروم هو راغب فى الدنيا راغب عن الآخرة، وكم من الناس من يملك الدنيا وهو زاهد فيها، وقد قيل

---

(١) ذكره أبو بكر الباقلانى فى كتابه إعجاز القرآن.

(٢) روى ابن ماجه معناه عن أبى ذر الغفارى مرفوعاً (٤١٠٠) الزهد.

لعبد الله بن المبارك: يازاهد. فقال: الزاهد هو عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها وأما أنا ففى ماذا زهدتُ؟!

بل إن الله تعالى ينكر على الذين يحرمون على أنفسهم طيبات الحياة الدنيا فيقول عز من قائل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الاعراف: ٣٢].

فليس الاستمتاع بهذه الطيبات هو الحرام ولكن الحرام ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الاعراف: ٣٣].

وعلى هذا فالمذموم هو الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان بها.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧].

فاستحباب الحياة الدنيا على الآخرة يصطدم مع طبيعة الإيمان بل هو طبيعة الكفر، يقول تعالى: ﴿... وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢ - ٣].

يقول صاحب الظلال - رحمه الله -: «إن الذين يوجهون قلوبهم للآخرة، لا يخسرون متاع الحياة الدنيا - كما يقوم فى الأخيلة المنحرفة - فصلاح الآخرة فى الإسلام يقتضى صلاح هذه الدنيا. والإيمان بالله يقتضى حسن الخلافة فى الأرض. وحسن الخلافة فى الأرض هو استعمارها والتمتع بطيباتها. إنه لا تعطيل للحياة فى الإسلام انتظاراً للآخرة، ولكن تعمير للحياة بالحق والعدل والاستقامة ابتغاء رضوان الله، وتمهيداً للآخرة هذا هو الإسلام» (١) انتهى.

بل إن الله - تعالى - جعل الضرب فى الأرض إصلاحاً وإعماراً جعله سبباً

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٠٨٦

من أسباب التخفيف على الأمة، فقال تعالى: ﴿ ... عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ..... ﴾ [المزمل: ٢٠].

وزكى الله - تعالى - أصحاب البيع والتجارة الذين لا تلهيهم تجارتهم عن الآخرة فقال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور: ٣٧].

ويوصى الله المؤمنين بألا تلهيهم أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله فيقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

ولم يوصهم بترك المال والأولاد.

ويخبر ﷺ بأن «خير الكسب كسب الصانع والعامل إذا نصحا» (١).

ويقول ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة» (٢).

فالمؤمن يعمل فى الدنيا لتكون مطيته إلى الآخرة، والكافر يعمل للدنيا لأنه لا أمل له فى الآخرة، يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢].

لذا فقد صدق رسول الله ﷺ حينما قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (٣).

الرضا هو الزهد:

يقول ﷺ: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه» (٤).

---

(١) رواه أحمد عن أبى هريرة - مرفوعاً - وإسناده حسن.
(٢) رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك - مرفوعاً -.
(٣) رواه مسلم عن أبى هريرة: كتاب الزهد، جـ ١٨ ص ٩٣ (بشرح النووى).
(٤) رواه مسلم والترمذى وابن ماجة (٤١٣٨) الزهد.

وعن عبيد الله بن محصن الأنصارى الخطمى – رضى الله عنه – قال: «قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمناً فى سربه معافى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[1].

وعندما اجتمع هارون الرشيد بالبهلول. قال له: عظنى فقال: بم أعظك؟ هذه قصورهم وهذه قبورهم.. ثم قال: كيف بك ياأمير المؤمنين إذا أقامك الحق تعالى بين يديه وسألك عن النقير والفتيل والقطمير وأنت عطشان، جوعان، عريان... وأهل الموقف ينظرون إليك ويضحكون... فخنقته العبرة وأمر له بصلة فقال ردها على من أخذتها منهم قبل أن لا تجد لهم شيئاً ترضيهم به. ثم أنشد:

دع الحرص على الدنيا وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال فما تدرى لمن تجمع
فإن الرزق مقسوم وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذى حرص غنى كل من يقنع

وجاء رجل إلى عبد الله بن عمرو – رضى الله تعالى عنهما – يشكو الفقر: فقال له: ألك امرأة تؤوى إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لى خادماً. قال: أنت من الملوك»[2].

والناس دائماً يحبون من لا يتطلع إلى ما عندهم، لذا فإن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال:

يارسول الله: دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس.

فقال: «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[3].

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن.

(٢) رواه مسلم موقوفاً (جـ١٨ ص ١١٠) بشرح النووى.

(٣) رواه ابن ماجه (٤١٠٢) عن سهل بن سعد الساعدى، وأسانيده حسنة.

صور من زهد السابقين:

١ – زهد سلمان الفارسى – رضى الله عنه – :

عن أنس رضى الله عنه قال: اشتكى سلمان فعاده سعد بن أبى وقاص فرآه يبكى، فقال له سعد: ما يبكيك يا أخى؟ أليس قد صحبت رسول الله ﷺ؟ أليس؟.. أليس؟

قال سلمان: ما أبكى واحدة من اثنتين: ما أبكى ضناً على الدنيا (حرصاً عليها) ولا كراهية فى الآخرة. ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً ما أرانى إلا قد تعديت (تجاوزت ولم أف بالعهد). قال: وما عهد إليك؟ قال عهد إلينا أنه يكفى أحدكم مثل زاد الراكب ولا أرانى إلا قد تعديت.. وأما أنت ياسعد: فاتق الله عند حكمك إذا حكمت وعند قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت.. قال ثابت فبلغنى أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً مع نفيقة كانت عنده)[1].

٢ – زهد عمير بن سعد – رضى الله عنه – :

كان أهل حمص شديدى التذمر من ولاتهم، كثيرى الشكوى منهم، فما جاءهم من وال إلا وجدوا فيه عيوباً، وأحصوا له ذنوباً، ورفعوا أمره إلى خليفة المسلمين، وتمنوا عليه أن يبدلهم به من هو خير منه. فعزم الفاروق رضوان الله عليه أن يبعث إليهم بوال لا يجدون فيه مطعناً ولا يرون فى سيرته مغمزاً (عيبا)، فبحث فلم يجد خيراً من عمير بن سعد، وعلى الرغم من أن عميراً كان إذ ذاك يضرب (يسير غازياً) فى أرض الجزيرة من بلاد الشام على رأس جيشه الغازى فى سبيل الله، فيحرر المدن ويدك المعاقل (الحصون) ويخضع القبائل، ويقيم المساجد فى كل أرض وطئتها قدماه على الرغم من ذلك فقد دعاه أمير المؤمنين وعهد إليه بولاية حمص وأمره بالتوجه إليها، فأذعن للأمر على كره منه لأنه كان لا يؤثر شيئاً على الجهاد فى سبيل الله، بلغ عمير حمص فدعا الناس إلى

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٤) الزهد.

صلاة جامعة ولما قضيت الصلاة خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد ثم قال: «أيها الناس، إن الإسلام حصن منيع وباب وثيق (متين) وحصن الإسلام العدل، وبابه الحق.

فإذا دُك الحصن وحطم الباب استبيح حمى هذا الدين.

وإن الإسلام ما يزال منيعاً ما اشتد السلطان. وليست شدة السلطان ضرباً بالسوط ولا قتلاً بالسيف ولكن قضاء بالعدل وأخذاً بالحق.

ثم انصرف إلى عمله لينفذ ما أختطه لهم من دستور فى خطبته القصيرة.

قضى عمير بن سعد حولاً (عاماً) كاملاً فى حمص لم يكتب خلاله لأمير المؤمنين كتاباً، ولم يبعث إلى بيت المال من الخراج درهماً ولا ديناراً، فاخذت الشكوك تساور عمر (تدور فى نفسه) إذ كان شديد الخشية على ولاته من فتنة الإمارة، فلا معصوم عنده غير رسول الله ﷺ. فقال لكاتبه: اكتب إلى عمير بن سعد وقل له: إذا جاءك كتاب أمير المؤمنين فدع حمص وأقبل عليه، واحمل معك ما جبيت من فيء المسلمين، تلقى عمير بن سعد كتاب عمر رضى الله عنه فاخذ كيس طعامه وحمل قصعته على كتفه ووعاء وضوئه وأمسك بيده حربته، وخلف حمص وإمارتها وراءه، وانطلق يحث الخط - مشياً على قدميه - إلى المدينة. فما كان يبلغ عمير المدنية حتى كان قد شحب لونه، وهزل جسمه وطال شعره، وظهرت عليه وعثاء السفر.

دخل عمير على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فدهش الفاروق من حالته وقال: ما بك ياعمير؟! فقال: ما بى من شيء يا أمير المؤمنين فانا صحيح معافى - بحمد الله - أحمل معى الدنيا كلها وأجرها من قرنيها. فقال: وما معك من الدنيا؟ فقال: معى جرابى وقد وضعت فيه زادى ومعى قصعتى آكل فيها وأغسل عليها رأسى وثيابى. ومعى قربة لوضوئى وشرابى ثم إن الدنيا كلها - ياأمير المؤمنين - تبع لمتاعى هذا، وفضلة لا حاجة لى ولا لأحد غيرى فيها. فقال عمر: وهل جئت ماشياً؟!

قال: نعم ياأمير المؤمنين. فقال: أما أُعطيت من الإمارة دابة تركبها؟ فقال: هم لم يعطوني، وأنا لم أطلب منهم. فقال: وأين ما أتيت به لبيت المال؟ فقال: لم آت بشيء. فقال: ولم؟!

فقال: لما وصلت إلى حمص؛ جمعت صلحاء أهلها ووليتهم جمع فيئهم فكانوا كلما جمعوا شيئاً منه، استشرتهم في أمره ووضعته في مواضعه، وأنفقته على المستحقين منهم. فقال عمر لكاتبه: جدد عهداً لعمير على ولاية حمص. فقال عمير: هيهات. فإن ذلك شيء لا أريده، ولن أعمل لك ولا لأحد بعدك ياأمير المؤمنين. ثم استأذنه بالذهاب إلى قرية في ضواحي المدينة يقيم بها أهله، فأذن له.

لم يمض على ذهاب عمير إلى قريته وقت طويل حتى أراد عمر أن يختبر صاحبه وأن يستوثق من أمره؟ فقال لواحد من ثقاته يدعى الحارث: انطلق ياحارث إلى عمير بن سعد وانزل به كأنك ضيف، فإن رأيت عليه آثار نعمة فعد كما أتيت، وإن وجدت حالاً شديدة فأعطه هذه الدنانير وناوله صرة فيها مائة دينار.

انطلق الحارث حتى بلغ قرية عمير، فسأل عنه فدُل عليه. فلما لقيه قال: السلام عليك ورحمة الله. فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، من أين قدمتَ؟ فقال: من المدينة. فقال: كيف تركت المسلمين؟ فقال: بخير.

فقال: كيف أمير المؤمنين؟ فقال: صحيح صالح. فقال: أليس يقيم الحدود؟!

قال: بلى، ولقد ضرب ابناً له لفاحشة أتاها، فمات من الضرب.

فقال: اللهم أعن عمر، فإني لا أعلمه إلا شديد الحب لك.

أقام الحارث في ضيافة عمير بن سعد ثلاث ليال، فكان يُخرج له في كل ليلة قرصاً من الشعير. فلما كان اليوم الثالث؛ قال للحارث رجل من القوم: لقد أجهدت (أتعبت) عميراً وأهله؛ فليس لهم إلا هذا القرص الذي يؤثرونك به

على أنفسهم، وقد أضرَّ بهم الجوع، فإن رأيت أن تتحول عنهم إليَّ فافعل. عند ذلك أخرج الحارث الدنانير، ودفعها إلى عمير.

فقال عمير: ما هذه؟!! فقال الحارث: بعث بها إليك أمير المؤمنين.

فقال: ردها إليه، واقرأ عليه السلام، وقل له: لا حاجة لعمير بها - فصاحت امرأته - وكانت تسمع ما يدور بين زوجها وضيفه - وقالت: خذها - ياعمير - فإن احتجت إليها أنفقتها، وإلا وضعتها في مواضعها فالمحتاجون هنا كثير. فلما سمع الحارث قولها؛ ألقى الدنانير بين يدى عمير وانصرف، فأخذها عمير وجعلها في صُرر صغيرة ولم يبت ليلته تلك إلا بعد أن وزعها بين ذوى الحاجات، وخص منهم أبناء الشهداء.

عاد الحارث إلي المدينة فقال له عمر: ما رأيت ياحارث؟ فقال: حالاً شديدة يا أمير المؤمنين. فقال: أدفعت إليه الدنانير؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: وما صنع بها ؟! فقال: لا أدرى، وما أظنه يبقى لنفسه منها درهماً واحداً. فكتب الفاروق إلى عمير يقول: إذا جاءك كتابى هذا فلا تضعه من يدك حتى تقبل عليَّ.

توجه عمير إلى المدينة، ودخل على أمير المؤمنين، فحياه عمر ورحب به وأدنى مجلسه (قربه إليه) ثم قال له: ما صنعت بالدنانير ياعمير؟!

فقال: وما عليك منها ياعمر بعد أن خرجت لى عنها؟!!

فقال: عزمت عليك أن تخبرنى بما صنعت بها. فقال: ادخرتها لنفسى لأنتفع بها في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون..

فدمعت عينا عمر، وقال: أشهد أنك من الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة (حاجة) ثم أمر له بوسق (ستون صاعاً) من طعام وثوبين. فقال: أما الطعام فلا حاجة لنا به يا أمير المؤمنين، فقد تركت عند أهلى صاعين من شعير، وإلى أن نأكلهما يكون الله - عز وجل - قد جاءنا بالرزق. وأما الثوبان فآخذهما لأم فلان (يعنى زرجته)، فقد بلى ثوبها وكادت تعرى. لم يمض وقت

طويل على هذا اللقاء بين عمر وعمير حتى بلغ الفاروق خبر وفاة عمير، فحزن عليه حزناً شديداً وقال: «وددت أن لي رجالاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم في أعمال المسلمين» [1].

٣ – زهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – :

ضرب الفاروق – رضي الله عنه – مثلاً في الزهد – وخصوصاً بعد توليه الخلافة – ومن مواقفه في الزهد: بينما هو ذات يوم وقد وضع الطعام بين يديه إذ جاء الغلام فقال: هذا عتبة بن فرقد بالباب.

قال: وما أقدم عتبة إذن؟ فلما دخل رأى بين يدي عمر طعامه وهو خبز وزيت قال: اقترب ياعتبة فأصب من هذا. فذهب ياكل، فإذا هو بطعام خشن لا يستطيع أن يسيغه. فقال: يا أمير المؤمنين: هل لك في طعام يقال له الحواري (لباب الدقيق). قال: ويلك ويسع المسلمين كلهم؟ قال: لا والله.

قال: ويلك ياعتبة! فاردت أن آكل طيباتي في حياتي الدنيا وأستمتع بها؟ وقدم عمر الشام فصنع له طعام لم ير قبله مثله فقال: هذا لنا فما للفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟!

قال خالد بن الوليد: لهم الجنة. فاغرورقت عينا عمر وقال: لئن كان حظنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة، لقد باينونا بوناً بعيداً.

٤ – زهد عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – :

لقد تجرد عمر عن كل مظاهر الأبهة في الخلافة، فترك الشرط والحرس والقصر والفرش والرياش، وكل زينة كان يتزين بها الخلفاء قبله، بل وكل زينة كان يتزين بها هو قبل الخلافة، فزهد في اللباس والمتاع والنساء والطعام والشراب وغير ذلك مما يتنافس فيه أرباب الملك والسلطان.

فكان لا ياخذ من بيت المال شيئاً ولا يجرى على نفسه من الفيء درهماً.

---

(١) من كتاب: صور من حياة الصحابة (بتصرف يسير).

فقيل له لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب (وكان عمر بن الخطاب يجرى على نفسه درهمين كل يوم) . قال : إن عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالى يغنينى !!

واشترى له رباح بن عبيدة قبل الخلافة رداء من خز مربع ذا أكمام بخمسمائة درهم فاستخشنه وقال : لقد اشتريته خشناً جداً . ثم اشترى له بعد الخلافة كساء بثمانية دراهم فاستلانه .

يقول يونس بن أبى شيب : شهدت عمر بن عبد العزيز وهو يطوف بالبيت ، وإن حجزة إزاره لغائبة فى عكنه ، ثم رأيته بعدما استُخلف ، ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت !

ويقول مسلمة بن عبد الملك : (دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده فى مرضه ، فإذا قميصه وسخ ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك : يا فاطمة اغسلى قميص أمير المؤمنين ، قالت : نفعل إن شاء الله ، ثم عدت فإذا القميص على حاله . فقلت : يا فاطمة ، ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين ، فإن الناس يعودونه؟ قالت : والله ما له قميص غيره) [1] .

* * *

زهد العلمـاء

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – « كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها ، فلا بد أن يقول على الله غير الحق فى فتواه وحكمه في خبره وإلزامه ، لأن أحكام الرب – سبحانه وتعالى – كثيراً ما تأتى على خلاف الناس ولا سيما أهل الرياسة ، والذين يتبعون الشبهات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيراً . فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك ولا بدفع ما يضاده من الحق ولا سيما إذا قامت له شبهة فتتفق

---

(١) الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٤٨٣

الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفى الصواب ويطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهراً لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته وقال لي مخرج بالتوبة، وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى: ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ** ﴾ [مريم: ٥٩].

وقال الله تعالى فيهم أيضاً: ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

أخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سيغفر لنا وإن عرض لهم عرض آخر أخذوه، فهم مصرون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق.

فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه، وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك، أو لا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه، فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه. وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا فلا يحملهم حب الرياسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة. وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة ويستعينوا بالصبر والصلاة، ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخستها والآخرة وإقبالها ودوامها»[1].

ومن صور الزهد في بريق الحياة الدنيا ما كان من العز بن عبد السلام عندما جاءه رسول الملك الصالح إسماعيل يرجوه أن يعتذر للسلطان ويقبِّل يده حتى يعيد إليه مناصب القضاء فقال له: «والله لو قبَّل السلطان يدى ما قبلت، ياقوم أنتم في واد ونحن في واد، الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به» إنها عزة العلماء حينما يزهدون في الدنيا، وإلا لذلوا إذا آثروا الحياة الدنيا ومن هذه الصور أيضاً ما

---

(١) من كتاب الفوائد ص ١٢٠ : ص ١٢١

كان من الشيخ سعيد الحلبى حينما دخل عليه المسجد إبراهيم باشا - وهو صاحب السلطان والهيلمان - بقى الشيخ سعيد جالساً ماداً أرجله، وأقبل الناس جميعاً يحيون ويصافحون ووقف إبراهيم باشا طويلاً أمام الشيخ سعيد الذى لم يقبض رجله وسار وهو يغلى غيظاً وقد استشاط غضباً، فأخذ صرة من النقود وقال لحاجبه ادفعها للشيخ فعندما وضعت فى حجر الشيخ سعيد قال للحاجب «قل لسيدك: إن الذى يمد رجله لا يمد يده» (١).

* * *

زهد الرسول ﷺ

فراش رسول الله ﷺ:

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر فى جنبه، قلنا يارسول الله: لو اتخذنا لك وطاءً؟

فقال: مالي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» (٢).

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذى ينام عليه أدماً حشوه ليفاً» (٣).

وعن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال: «أخرجت لنا عائشة - رضى الله عنها - كساءً ملبداً وإزاراً غليظاً، فقالت: قبض رسول الله ﷺ فى هذين (٤).

---

(١) من كتاب «ربانية لا رهبانية» لأبى الحسن الندوى - رحمه الله -.

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (انظر صحيح الترمذى بشرح ابن العربى (٩/٢٢٣).

(٣) رواه البخارى: كتاب الرقاق (١١/٢٨٢)، مسلم: كتاب اللباس (١٤/٥٧).

(٤) رواه مسلم: كتاب اللباس (١٤/٥٧).

طعام رسول الله ﷺ :

يقول النعمان بن بشير – رضى الله عنهما – : ذكر عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – ما أصاب الناس من الدنيا فقال : «لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يتلوى لا يجد من الدقل ما يملأ بطنه» (١).

وعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : «ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ» (٢).

وعن أنس – رضى الله عنه – قال : «لم يأكل النبى ﷺ على خوان حتى مات ولم يأكل خبزاً مرققاً حتى مات» (٣).

وعن عروة عن عائشة – رضى الله عنها – كانت تقول : والله يا ابن أختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة فى شهرين، وما أوقد فى أبيات رسول الله ﷺ نار. قلت : يا خالة : فما كان يعيشكم؟ قالت : الأسودان؟ التمر والماء، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه» (٤).

* * *

التنافس على الدنيا

إذا جهل الناس حقيقة الحياة الدنيا تكالبوا عليها وتنافسوها، وقضوا حياتهم فيها دون أن يعملوا حساباً لآخرتهم.

---

(١) رواه مسلم : كتاب الزهد (١٨/١٠٩)، الترمذى كتاب الزهد (٩/٢١٦). والدقل : ردىء التمر.

(٢) رواه البخارى : كتاب الرقاق (١١/٢٨٢)، ورواه مسلم : كتاب الزهد (١٨/١٠٥، ١٠٦).

(٣) رواه البخارى : كتاب الرقاق (١١/٢٧٣)، ورواه الترمذى : كتاب الزهد (٩/٢١٦)، ورواه ابن ماجه (٣٢٩٢).

(٤) رواه البخارى : كتاب الرقاق (١١/٢٨٣)، ورواه مسلم : كتاب الزهد (١٨/١٠٧، ١٠٨).

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٨ - ١٩].

ويحذر الله الناس جميعاً من الاغترار ببريق الحياة الدنيا فيقول:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥].

وفتن الحياة الدنيا كثيرة، فمن الناس من يغتر بالمال، ومنهم من يغتر بالعلم، ومنهم من يغتز بالقوة، ومنهم من يغتز بالسلطان. وهكذا تتعدد مظاهر الغرور فى الحياة الدنيا، وهكذا يغتر أصحاب الدنيا ببريقها يظنونه حقيقة أصيلة!!

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

ويقول الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

يقول صاحب الظلال - رحمه الله - ذلك كله الذى عرضه من اللذائذ المحببة - وسائر ما يماثله من اللذائذ والشهوات - متاع الحياة الدنيا. لا الحياة الرفيعة، ولا الآفاق البعيدة،.. متاع هذه الأرض القريب.. فأما من أراد الذى هو خير.. خير من ذلك كله. خير لأنه أرفع فى ذاته. وخير لأنه يرفع النفس ويصونها من الاستغراق فى الشهوات، والانكباب على الأرض دون التطلع إلى السماء.. من أراد الذى هو خير فعند الله من المتاع ما هو خير وفيه عوض كذلك عن تلك الشهوات: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (١) انتهى.

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ١ ص ٣٧٥

ورسول الله ﷺ يحذرنا من خطورة الدنيا، ومن ذلك:

* عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء» (١).

* وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - أيضاً - قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» (٢).

* وعن عمرو بن عوف الأنصارى - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح - رضى الله عنه - إلى البحرين يأتى بجزيتها فقدم بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حيث رآهم ثم قال: أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء من البحرين؟ فقالوا: أجل يا رسول الله، فقال: «أبشروا وأمّلوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم» (٣).

ويعلمنا رسول الله ﷺ أن ننظر إلى من هوت أسفل منا لنزداد شكراً لله على نعمه، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» (٤).

والمؤمن الحق هو الذى يعلم أن الله عز وجل إذا لم يفتح عليه من زهرة الحياة الدنيا ففى ذلك حماية له من خطرها، وكما جاء فى الحديث «إن الله - عز وجل

---

(١) رواه مسلم (١٧/٥٥).
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه البخارى: كتاب الرقاق (١١/٢٤٣)، ورواه مسلم: (١٨/٩٥) أول كتاب الزهد.
(٤) رواه البخارى، رواه مسلم جـ ١٨ ص ٩٧ (شرح النووى).

- ليحمى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب » (١) .

* * *

الآخرة خير وأبقى

بيَّن الله عز وجل لنا حقيقة الدنيا وحذرنا منها وأخبرنا بما هو خير منها وأفضل فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [النساء: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [الانعام: ٣٢].

ويقول للذين يتقاعسون عن الجهاد في سبيله: ﴿ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ [التوبة: ٣٨].

ويقول تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [الاعلى: ١٦ - ١٧].

ويقول تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [غافر: ٣٩].

ويقول تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

وبينت السنة المشرفة ذلك: فقال ﷺ:

* « من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى » (٢) .

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٢) رواه أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي في الزهد، وقال الحاكم صحيح على شرطهما.

* «ألا إن الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر والفاجر، ألا وإن الآخرة وعد صادق يقضى فيه ملك قادر، ألا وإن الخير كله بحذافيره فى الجنة.. ألا وإن الشر كله بحذافيره فى النار، واعملوا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم وأنكم ملاقو الله ربكم لابد فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» (١).

* وعن أنس - رضى الله عنه - قال: «قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له» (٢).

* وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» (٣).

ويقول على بن أبى طالب - رضى الله عنه -: «ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل» (٤).

ويقول عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه -:

«أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدى، وإن لكم معاداً يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وشقى عبد أخرجه الله - عز وجل - من رحمته التى وسعت كل شىء، وجنته التى عرضها السماوات والأرض وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف الله تعالى واتقى، وباع قليلاً بكثير وفانياً بباق، وشقاوة بسعادة، ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غادياً

---

(١) رواه البيهقى فى السنن (٣/٢١٦).

(٢) رواه الترمذى فى صفة القيامة (٢٥٨٣)، وقال الألبانى: إسناده ضعيف لكن له متابعات وله شاهد عند ابن ماجه وابن حبان وهو في الصحيحة رقم ٩٤٩

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه البخارى موقوفاً على علىٍ: كتاب الرقاق - باب فى الأمل وطوله.

رائحاً إلى الله قد قضى نحبه، وانقطع أمله، فتضعونه فى بطن صدع من الأرض، غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب».

ولله در القائل:

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل
وخفض لذى علم فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائى لهذا رفعتهم
وأهل التقى أبناء ضرتى الأخرى
أأترك أبنائى يموتون ضيعة
وأرضع أبناءً لضرتى الأخرى

ويقول الشافعى - رحمه الله - : «من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فقد أعظم الفرية على الله».

* * *

المحمود من الدنيا والمذموم

خلق الله الإنسان وأوجده فى هذه الدنيا ليعمرها وفق منهج الله، فإذا ضل الإنسان عن المنهج واتبع هواه فقد خالف الحكمة التى من أجلها خلقه الله حيث يقول تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

فما أصابه الإنسان من الدنيا يريد به الآخرة فهو محمود، يثاب الإنسان عليه، وما أصابه منها يريدها به فهو مذموم.

وعلى ذلك فالآيات والأحاديث الواردة فى ذم الدنيا، فهو ليس ذماً لها فى حد ذاتها، ولكن الذم خاص بأعمال الإنسان إذا ضل وانحرف عن منهج الله. فلا يعقل أن يكون الذم للسماء والأرض، والجبال، والشمس والقمر، والبحار، وغيرها لأنها كلها آيات دالة على عظمة الله، يقول تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى**

السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦ - ٨].

ويقول تعالى: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ * إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٣].

وليس المذموم من الدنيا هو الليل والنهار، لأنهما آيتان من آيات الله، ونعمتان من نعم الله، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢].

ولله در القائل:

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق

والليالى متجر الإنسان والأيام سوق

وعلى هذا الفهم تحمل الآيات والأحاديث الواردة فى ذم الدنيا ومنها:

* عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه وعالماً ومتعلماً» (١).

* وعنه - أيضاً - رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «تعس عبد الدنيار، والقطيفة، والخميصة، إن أعطى منها رضى وإن لم يُعط لم يرض» (٢).

تعس: هلك، القطيفة: الثوب الذى له خمل، الخميصة: الكساء المربع.

* عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - «أن رسول الله ﷺ قام على المنبر فقال: إنما أخشى عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من بركات الأرض. ثم

---

(١) رواه الترمذى: الزهد (٩/١٩٨)، وقال حسن غريب، ورواه ابن ماجه (٤١١٢)، وحسنه الألبانى.

(٢) رواه البخارى: كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال (جـ ١١/٦٤٣٥).

ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحداهما وثنى بالأخرى. فقام رجل فقال: يارسول الله أوَ يأتى الخير بالشر؟ فسكت عنه النبى ﷺ، قلنا يوحى إليه، وسكت الناس كأن على رءوسهم الطير. ثم إنه مسح عن وجهه الرُّحضَاءَ فقال: أين السائل آنفاً؟ أوَ خير هو - ثلاثاً - إن الخير لا يأتى إلا بالخير وإنه كلُ ما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يُلمُّ، أكلتْ حتى امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت وإن هذا المال خضِرةٌ حُلوةٌ، ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله فى سبيل الله واليتامى والمساكين، ومن لم يأخذها بحقه فهو كالآكل الذى لا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة»[1].

معنى الحبط: التخمة، ومعنى ثلطت: ألقت الثلط وهو الرجيع الرقيق، ومعنى الرحضاء: العرق من الشدة.

* * *

الدنيا دار صدق لمن صدقها

يقول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

فلولا الدنيا لما كان هناك مجال لأن يعمل الإنسان الخير الذى يُجزى به فى الآخرة، وكما جاء فى الحديث: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله» قيل: وكيف يستعمله يارسول الله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه»[2].

وفى الأثر: «لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن... عليها ينال الخير، وبها ينجو من الشر» وأنه إذا قال العبد: لعن الله الدنيا.. قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه.

وقد حدث أن ذم رجل الدنيا عند على بن أبى طالب - رضى الله عنه -

---

(١) رواه البخارى: كتاب الجهاد والسير. باب فضل النفقة فى سبيل الله، ورواه مسلم: كتاب الزكاة - باب التحذير من الاغترار، ورواه كذلك الترمذى والنسائى وأحمد ومالك فى المؤطا.

(٢) رواه أحمد، ورواه كذلك الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين.

فقال: «الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ومهبط وحى الله ومصلى ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا الذى يذمها؟. وقد آذنت ببنيها، ونادت بفراقها، وشبهت بسرورها السرور، وببلائها البلاء ترغيباً وترهيباً؟! فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه متى خدعتك الدنيا؟ أم متى استتمت إليك (أى متى منعت إليك ما تستحق به الذم) أبمصارع آبائك فى البلى؟ أم بمضاجع أمهاتك فى الثرى؟ كم مرضت بيديك، وكم غللت بكفيك؟ تطلب له الشفاء، وتستوصف له الأطباء غداة لا يغنى عنه دواؤك ولا ينفعه بكاؤك».

ويقول يحيى بن معاذ: كيف لا أحب دنيا قدر لى فيها قوت أكتسب به حياة أدرك بها طاعة أنال بها الجنة.

* * *

التزود للدار الآخرة

رحلة الإنسان إلى الدار الآخرة رحلة طويلة، سفرها بعيد، مراحلها كثيرة، كل مرحلة تحتاج إلى زاد يمكن الإنسان من اجتيازها، وخير زاد يعين الإنسان على ذلك، تقوى الله - عز وجل - يقول الله تعالى: ﴿ ... **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وكما روى أن رسول الله ﷺ أوصى أبا ذر - رضى الله عنه - فقال: «يا أبا ذر: أحكم السفينة فإن البحر عميق، واستكثر الزاد فإن السفر طويل، وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود، وأخلص العمل فإن الناقد بصير»(١).

ووقف أبو الدرداء - رضى الله عنه - ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه: أليس إذا أراد أحدكم سفراً يستعد له بزاد؟! قالوا: بلى قال: فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون.. فقالوا: دلنا على زاده. قال: حجوا حجة لعظائم

---

(١) رواه الإمام المقدسى.

الأمور، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا يوماً شديداً حره لطول يوم النشور.

وحينما يرى الإنسان مقدمات الموت وسكراته، ويعلم أن زاده لا يبلغه، يتمنى لو يرجع إلى الدنيا مرة أخرى ليتزود بالعمل الصالح:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

[المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

ويقول تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾

[المنافقون: ١٠].

ويبين الله تعالى لعباده أن ما قدموه وادخروه عند الله جعله الله زخراً لهم فى الآخرة، فيقول تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ١١٠].

ويبين الله تعالى أن البر الذى يتزود به الإنسان لا يتمثل فى مجرد التوجه إلى المشرق أو المغرب، يقول تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

المبادرة إلى فعل الخيرات:

لا يعيش الإنسان فى هذه الدنيا على حال واحدة، من الصحة والفراغ، والشباب، وغيرها، لذا كان واجباً على الإنسان أن يغتنم شبابه قبل هرمه وصحته قبل سقمه، وفراغه قبل شغله، وغناه قبل فقره، وحياته قبل موته.

يقول رسول الله ﷺ : «بادروا بالأعمال الصالحة فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا» (١) .

ويقول أيضاً : «بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر» (٢) .

وقد قيل لإبراهيم بن أدهم – رحمه الله – لم زهدت فى الدنيا يا إبراهيم؟ فقال : لثلاث :

الأول : رأيت الطريق طويلاً وليس معى زاد.

الثانى : رأيت القبر موحشاً وليس معى مؤنس.

الثالث : رأيت الجبار قاضياً وليس معى حجة ولا من يدافع عنى .

وقيل له أوصنا بما ينفعنا فقال : إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا؛ فاشتغلوا بأمر الآخرة، وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم فاشتغلوا بتزيين بواطنكم، وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين والقصور فاشتغلوا بعمارة القبور، وإذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين فاشتغلوا بخدمة رب العالمين، وإذا اشتغلوا بعيوب الناس فاشتغلوا بعيوب أنفسكم، واتخذوا من هذه الدنيا زاداً يوصلكم إلي الآخرة فإنما الدنيا مزرعة الآخرة .

ويقول أحدهم :

تزود للذى لا بد منه

فإن الموت ميقات العباد

وتب مما جنيت وأنت حى

وكن متنبهاً قبل الرقاد

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة .

(٢) رواه الترمذى – عن أبى هريرة – وقال حديث حسن.

ســـــتندم إن رحلت بغـــــيـــــر زاد
وتـشـــــــــقـى إذ يـنـاديـك المـنـادى
أترضـى أن تـكـون رفـــــيق قـــــوم
لـهـم زاد وأنـت بـغـــــيـــــر زاد؟!

وقال آخر:

قدم لنفســـــك خيراً وأنت مالـــك مالـــك
من قبل أن تصبح فرداً ولون حالـك حالـــك
ولســـــت والله تدرى أى المســـالك ســـالك
إمـا لجنـــة عـــدن أو فى المهـــالك هالك

زاد الإنسان إلى ربه:

* عن معاذ بن جبل – رضى الله عنه – قال: «احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة فى صلاة الصبح، حتى كدنا نتراءى قرن الشمس، فخرج رسول الله ﷺ فثوب بالصلاة (أمر بالإقامة) وصلى وتجوز فى صلاته،.. فلما سلم قال: «كما أنتم على مصافكم» ثم أقبل إلينا فقال: «إنى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة.. إنى قمت من الليل فصليت ما قدر لى، فنعست فى صلاتى حتى استثقلت فإذا أنا بربى – عز وجل – فى أحسن صورة.. فقال: يامحمد.. أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى (الملائكة) قلته: لا أدرى رب.. قال يامحمد.. فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدرى رب، فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله فى صدرى، وتجلى لى كل شىء وعرفت.. فقال: يامحمد: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: فى الكفارات والدرجات.. قال: وما الكفارات؟ قلت: نقل الأقدام إلى الجمعات (وفى رواية: إلى الجماعات) والجلوس فى المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء عند الكريهات. قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام ولين الكلام، والصلاة والناس نيام.. قال: سل: قلت: اللهم إنى أسالك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لى

وترحمنى، وإذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون، وأسالك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربنى إلى حبك» وقال رسول الله ﷺ: «إنها حق فادرسوها وتعلموها» (١).

* وعن أبى ذر - رضى الله عنه - قال: قلت يارسول الله: أى الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد فى سبيله، قلت: أى الرقاب أفضل؟ قال أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صائغاً، أو تصنع لأخرق (جاهل لا يحسن الصنع). قلت: يارسول الله: أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: تكف شرك عن الناس. فإنها صدقة منك على نفسك» (٢).

* وعنه أيضاً: أن النبى ﷺ قال: «عرضت على أعمال أمتى... حسنها وسيئها.. فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت فى مساوىء أعمالها النخامة تكون فى المسجد لا تدفن» (٣).

* وعنه أيضاً: أن ناساً قالوا: يارسول الله: ذهب أهل الدثور (الأموال) بالأجور يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم.. قال: أوَ ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكز صدقة، وفى بضع أحدكم صدقة. قالوا: يارسول الله: أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها فى حرام.. أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر» (٤).

* وعن أبى موسى - رضى الله تعالى عنه - عن النبى ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة.. قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال «يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق». قال: أرأيت إن لم يستطع؟

قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٥/٢٤٣)، والترمذى وقال حديث صحيح. وقال: سألت عنه البخارى فقال: حديث حسن صحيح.

(٢) متفق عليه. (٣) رواه مسلم. (٤) رواه مسلم.

قال : أرأيت : إن لم يستطع؟

قال : يأمر بالمعروف أو الخير.

قال : أرأيت إن لم يفعل؟

قال : يمسك عن الشر فإنها صدقة »[1].

* وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال : لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين »[2].

* وروى عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية فى البحر... فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء الله على نفسه فقال أبو موسى : أخبرنا إن كنت مخبراً.. قال : إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له فى يوم حار سقاه الله يوم العطش، وكان حقاً على الله – عز وجل – أن يرويه يوم القيامة.. قال راوى الحديث : فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذى يكاد الإنسان ينسلخ فيه حراً فيصومه »[3].

ولله در القائل :

وربك لو أبصرت قوماً تتابعت
عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهد
لأبصرت قوماً حاربوا النوم وارتدوا
بأردية التسهاد والتزموا السهدا
وصاموا نهاراً دائماً ثم أفطروا
على بلغ الأقوات واستعملوا الكدا

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم : كتاب البر والصلة، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق (جـ ١٦ ص ١٧١).

(٣) أخرجه البزار وابن أبى الدنيا .

أولئك قـــوم أحـــسن الله فـــعلهم

وأبدلهم من حـــسن فـــعلهم الخلدا

فـــيـــا طالب الحـــوراء فى خـــدرها

وطـالبـــــاً ذاك عـلـى قـــــدرها

انـهـض بـجـــــد لا تـكـن وانـيـــــاً

وجـــاهـد النـفس عـلى صـــبـــرها

وقـم إذا الـلـيـل بـدا وجـــــهـــــه

وصم نـهـــاراً فـــهـــو من مـــهـــرها

خير الناس وشر الناس:

* عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخيركم» قالوا: بلى.. قال: «خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً» (١).

* وعن أبى بكر – رضى الله عنه –: أن رجلاً قال: يارسول الله.. أى الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله». قال: فأى الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله» (٢).

ولله در القائل:

النفس تبكى على الدنيـا وقـد علمت

أن الـسـلامـة فـيـهـا ترك مـا فـيـهـا

لا دار لـلـمـــرء بعـــد الموت يسكنهـــا

إلا التى كـــان قـــبل الموت يبنيـــهـــا

---

(١) رواه أحمد ورواته رواة الصحيح، وابن حبان فى صحيحه، والبيهقى، ورواه الحاكم من حديث جابر، وقال صحيح على شرطهما.

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح، والطبرانى بإسناد صحيح والحاكم والبيهقى فى الزهد.

فـــإن بناها بخـــيـــر طاب مـــسكنه

وإن بناها بشـــر خـــاب بانيـــهـــا

لا تركنن إلى الدنيـــا ومـــا فـــيـــهـــا

فـــالموت لا شك يفنينا ويفنيـــهـــا

واعـــمل لدار غـــداً رضـــوان خـــازنهـــا

والجـــار أحـــمـــد والرحـــمن ناشـــيـــهـــا

قـــصـــورها ذهب والمسك طينتـــهـــا

والزعـــفـــران حـــشـــيش نابت فـــيـــهـــا

* * *